ابن هشام او كل واحد من روسا الكفر ويدل عليه الاية التي قبلها وهي قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها فكان من مكر كفار قريش ان قالوا لن نومن لك حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله يعني من النبوة وانما قالوا
هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفي قولهم لن نومن حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله قولان
احدهما وهو المشهور ان القوم ارادوا ان تحصل النبوة والرسالة لهم كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكونوا
متبوعين لا تابعين والقول الثاني وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس ان المعنى واذا جاءتهم اية من القران
تامرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نومن لك يعني لن نصدقك حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله
يعني حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل يصدقك بانك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وانما طلبوا ان تخبرهم
الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانه رسول من الله تعالى وعلى القول الاول انهم طلبوا ان يكونوا انبيا
ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته يعني انه تعالى يعلم من يستحق
الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس باهل لها وانتم لستم لها باهل وان النبوة لا تحصل لمن يطلبها
خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال اهل المعاني الابلغ في تصديق الرسل ان يكونوا قبل البعثة مطاعين
في قومهم لان الطعن كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا روساء مطاعين فاتبعهم قومهم لاجل ذلك فكان الله
تعالى اعلم بمن يستحق الرسالة فجعلها لليتيم ابي طالب دون ابي جهل والوليد وغيرهما من اكابر قريش وروسايها وقوله
تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار اي ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل الذي يصغر الى المرء نفسه فيه عند الله
يعني هذا امر عند الله وقيل ان هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى هذا القول انما يحصل لهم الصغار في الاخرة وقيل
معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكم به عليهم في الدنيا وعذاب شديد يعني في الاخرة بما كانوا يمكرون يعني انما حصل لهم
هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقون قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام والايمان يقال شرح الله صدره فانشرح اي وسعه لقبول الايمان والخير فتوسع وذلك ان الانسان
اذا اعتقد في عمل من الاعمال ان نفعه زايد وخيره راجح وربحه ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه
الحالة سعة النفس وانشراح الصدر وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان امرا اذا اوضحه واظهره وشرح
المسيلة اذا كانت مشكلة فاوضحها وبينها فقد ثبت ان للشرح معنيان احدهما الفتح ومنه يقال شرح
الكافر بالكفر صدرا اي فتحه بقبوله ومنه قوله تعالى ومنه من شرح بالكفر صدرا وقوله افمن شرح الله صدره للاسلام
يعني فتحه ووسعه لقبوله والثاني ان الشرح نور يقذفه الله في قلب العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح
صدره له ومعنى الاية فمن يرد الله ان يهديه للايمان بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله
ويهونه عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به واحسانه اليه فعند ذلك يستنير الاسلام في قلبه فيضي به
ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الاية سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب
المومن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزول الموت واسنده الطبري عن ابن مسعود قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه هذه
الاية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من اية يعرف بها
قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت وقوله تعالى ومن يرد ان يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا يعني يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس
اذا سمع ذكر الله اشماز قلبه واذا سمع ذكر الاصنام ارتاح الى ذلك وقرا عمر بن الخطاب هذه الاية وعنده اعرابي من كنانة
فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شي فقال

عمر



عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شي من الخير واصل الحرج الضيق وهو ماخوذ من الحرجة وهي الاشجار الملتف بعضها
على بعض حتى لا يصل اليها شي وقرا ابن عباس هذه الاية فقال هل هنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة
فيكم قال الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر قال اهل المعاني
لما كان القلب محلا للعلوم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته بالانشراح والانفساح ونوره
تقبل ما اودعه الله من الايمان بالله ورسوله ووصف قلب من يريد ضلالته بالضيق الذي هو خلاف الشرح والانشراح
فدل ذلك على ان الله تعالى صير قلب الكافر بحيث لا يعي علما ولا استدلالا على توحيد الله تعالى والايمان به وفي الاية دليل
على ان جميع الاشيا بمشيية الله وارادته حتى ايمان المومن وكفر الكافر وقوله تعالى كانما يصعد في السما يعني ان الكافر
اذا دعي الى الاسلام كانه قد كلف ان يصعد الى السما ولا يقدر على ذلك وقيل يجوز ان يكون المعنى كان قلب الكافر
يصعد الى السما نبوا وتكبرا عن الاسلام ونكبرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد الا ان يصعد الى السما وليس يقدر على
ذلك وقيل هو من المشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى ان الكافر اذا دعي الى الاسلام فانه يتكلف مشقة وصعوبة
في ذلك كمن يتكلف الصعود الى السما وليس يقدر على ذلك كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يومنون الكاف في كذلك تفيد
التشبيه وفيه وجهان الاول معناه ان جعله الرجس عليهم كجعله صدورهم ضيقة حرجة والمعنى كما جعلنا صدورهم
ضيقة حرجة والمعنى كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثاني قال الزجاج اي مثل ما قصصنا عليك كذلك
يجعل الله الرجس قال ابن عباس الرجس الشيطان اي سلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وفي رواية عن ابن عباس
ان الرجس العذاب وقال الزجاج الرجس في الدنيا اللعنة وفي الاخرة العذاب قوله عز وجل وهذا صراط ربك مستقيما
يعني وهذا الذي بينا لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القران هو صراط ربك يعني دينه الذي شرعه
لعباده ورضيه وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه قال ابن عباس في قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعني الاسلام
وقال ابن مسعود يعني القران لانه يودي من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والسداد قد فصلنا الايات
يعني قد فصلنا ايات القران بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والامر والنهي وغير ذلك
من احكام القران لقوم يذكرون يعني لمن يتذكر بها ويتعظ بما فيها من المواعظ والعبر قال عطا يعني اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان لهم دار السلام عند ربهم يعني الجنة في قول جميع المفسرين قال الحسن
والسدي السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام في اسماء الله تعالى ذو السلام وهو جمع سلامة لانه
تعالى ذو السلامة من جميع الافات والنقايص فعلى هذا القول اضيفت الدار الى السلام الذي هو اسم الله تعالى
اضافة تشريف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت الله وللنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله في قوله وانه لما قام عبد الله
يدعوه واحتج لصحة هذا ان اضافة الدار الى الله تعالى غاية في تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة
في تعظيم امرها وقيل ان السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدايمة التي لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام
بمعنى السلامة كانه قال لهم دار السلامة التي لا يلقون فيها شيا يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع
حالاتها مقرونة بالسلامة كما قال تعالى في وصفها ادخلوها بسلام امنين والملايكة يدخلون عليهم من كل
باب سلام عليكم وقال تحيتهم فيها سلام وقال سلام قولا من رب رحيم لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
وقوله عند ربهم يعني ان الجنة معدة مهياة لهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها وهو وليهم بما كانوا يعملون يعني
انه تعالى يتولى امرهم وايصال المنافع اليهم ودفع المضار عنهم وقيل معناه انه يتولاهم في الدنيا بالتوفيق
والهداية وفي الاخرة بالجزاء والجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعني انه تعالى ينصرهم في الدنيا ويقربهم
في الاخرة بسبب اعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها اليه في الدنيا قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا اي اذكر

Copyright © King Saud University